سلسلة كتيبات شبكة بينونة

النِّظَامُ الاجْتِمَاعِيُّ

فِي الإِسْلَامِ

الشَّيْخ
إِبْرَاهِيمُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ المُزْرُوعِيُّ

@baynoonanet @baynoonanetUAE www.baynoona.net

النِّظَامُ الاجْتِمَاعِيُّ
فِي الإِسْلَامِ

حقوق الطبع محفوظة

@baynoonanet @baynoonanetUAE

www.baynoona.net

النِّظَامُ الاجْتِمَاعِيُّ
فِي الإِسْلَامِ

الشَّيْخ
إِبْرَاهِيمُ بْنُ عَبْدِ اللهِ المُزْرُوعِيُّ

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

إنّ الحمد لله نحمده، ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، مَن يهده الله فلا مضل له، ومَن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله ﷺ.

أما بعد:

فإننا نحمَد الله ﷻ على نعمة الإسلام، ونسأله ﷻ أن يُثبِّتنا على الإسلام، وأن يُمِيتنا على الإسلام.

لا شك أن النظام الاجتماعي والأسري في الاسلام أحد أركان منظومة دين الإسلام، ولهذا النظام الاجتماعي خصائص تُميّزه عن غيره من الأنظمة.

* **ومن هذه الخصائص**: أن مصدره من عند الله ﷻ، والله تعالى أعلم بما يصلح عباده، ولذلك فإن هذا النظام الاجتماعي والأسري في الإسلام معصوم من التناقض وبريءٌ من الظلم، وبريء من الميل لمصلحة طائفة أو بلد أو فرد، كذلك فإن هذا النظام يُحرر الإنسان من عبودية غير الله تعالى؛ فالحلال ما أحله الله، والحرام ما حرمه الله تعالى، والعبادة بأنواعها لا تكون إلا لله تعالى وحده لا شريك له، بل إن هذا النظام الاجتماعي في الإسلام يجعل المسلم يعمل لوجه الله تعالى في جميع شؤونه ويُعلِّقه بربه في جميع أموره، ومن جملة هذه الأمور

منهجه الاجتماعي والأسري الذي يسير عليه.

العمل بهذا النظام أمر يُتعبَّد الله به؛ فالمسلم يسير على شرع الله ﷻ مخلصا في نيته لله تعالى مأجور عند الله تعالى على عمله، وفي المقابل فإن مَن أعرض عن هذا النظام الاجتماعي في الإسلام فإنه معرَّض للعقوبة من الله تعالى.

* **أيضًا من خصائص هذا النظام الاجتماعي والأسري**: الشمول في تنظيم علاقات الأفراد في المجتمع المسلم، وفي حل جميع المشكلات الاجتماعية والأسرية، وذلك لاشتمال شريعة الاسلام وأصولها على أحكام هذا النظام الاجتماعي؛ قال الله ﷻ: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾[النحل:٨٩].

قال ابن الجوزي ﷺ في تفسيره لهذه الآية: «لكل شيء من أمور الدين؛ إما بالنص عليه، أو بالإحالة على ما يوجِب العلم؛ مثل بيانه ﷺ وإجماع المسلمين» انتهى كلامه من تفسيره زاد المسير[١].

* **أيضًا من خصائص هذا النظام الأسري والاجتماعي في الإسلام**: أنه عام لكل الناس، صالح لكل زمان ومكان وحال، قال الله ﷻ:﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾[الأعراف:١٥٨] فالإسلام هو آخر الأديان ولا دين بعده؛ فلا بد أن يكون صالحًا لكل زمان ومكان.

* **أيضًا من خصائص هذا النظام الاجتماعي والأسري في الإسلام**: الوسطية والثبات والمرونة والعدل، فهذا النظام الاجتماعي والأسري وسط بين الغلو

[١] زاد المسير في علم التفسير (٢/ ٣٦٧)، ط. دار الكتب العلمية.

والتقصير كما سيأتي أثناء هذه المحاضرة.

* **أيضًا من خصائص هذا النظام الاجتماعي والأسري في الإسلام:** ملاءمته لفطرة الإنسان، ومراعاته لطبيعة البشر؛ فهو يتعامل مع هذه الحياة بكل ما فيها من خير وشر وعقل ونفس وروح.

مما سبق يتبين لنا أهمية معرفة النظام الاجتماعي والأسري في الإسلام، ولبيان هذا النظام من خلال النقاط التالية:

- مفهوم الحياة الاجتماعية في الإسلام.
- معنى المجتمع المسلم.
- عناية الإسلام بالروابط الاجتماعية والأخلاق التي تقوي الاجتماع بين أفراد المجتمع.
- عناية الإسلام بصلة الأرحام.
- عناية الإسلام بحقوق الجار.
- عناية الإسلام بكرامة الإنسان.
- عناية الإسلام بالأخلاق ودورها في المجتمع.
- عناية الإسلام بعلاقة المسلمين مع بعضهم، وبعلاقتهم غيرهم أيضا.
- عناية الإسلام بالمرأة والطفل والوالدين والزواج وغيرها مما يؤدي إلى تقوية الروابط الاجتماعية.

■ * ما هو مفهوم الحياة الاجتماعية في الإسلام؟

المجتمع الإسلامي هو مسلمون في أرضهم مستقرون تجمعهم رابطة الإسلام، تُضاء أمورهم في ضوء تشريعاته وأحكامه، يرعى شئونهم ولاة أمر منهم.

لم يكتف الإسلام بإصلاح النفوس بالعقائد الصحيحة السليمة، وبتشريع العبادات التي تؤكد صلة العبد بربه، بل زوَّد النفوس بالأخلاق الحسنة، أرسى قواعد الاجتماع على أحسن ما يكون، نظر للإنسان أنه لم يخلق في عزلة من الناس، وإنما خُلق ليكون في جماعة تتعاون على القيام بمصالح الحياة، تتعاون على الأخذ بوسائل السعادة، فعنى الإسلام بحقوق ذوي القربى؛ فقرر النفقات والمواريث في نظم محكمة، حرص على إسعاد الناس بالبر بهم من طريق المروءة ومكارم الأخلاق، أحاط الزوجية بحقوق تجعل الزوجية في ألفة صادقة وعيشة راضية، أخذ بإصلاح رابطة أخرى وهي رابطة الجوار، إلى غير ذلك مما يحفظ النظام الاجتماعي من الاختلال.

أيضًا يتبين لنا من خلال هذه المحاضرة شيء من عناية الإسلام بالاجتماع من خلال الحديث عن بعض الروابط الاجتماعية، الأخلاق التي ترسي دعائم المجتمع، فمن عناية الإسلام بالروابط الاجتماعية والأخلاق التي تقوي بين أفراد المجتمع؛ عناية الأفراد بصلة الأرحام، وصلة الرحم -كما يقول ابن الأثير- كناية عن الإحسان إلى الأقربين من ذوي النسب والأصهار والعطف عليهم والرفق بهم والرعاية لأحوالهم ولو بعدوا وأساؤوا، وقطع الرحم ضد

ذلك كله.

إذًا اعتنى الإسلام بالروابط الاجتماعية، ومن هذه الروابط عنايته بصلة الرحم، فصلة الرحم جاءت الشريعة الإسلامية ببيان فضلها، ومن تلك الفضائل: صلة الرحم، شعار الإيمان بالله واليوم الآخر، قال ﷺ: «**مَن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليصل رحمه**» رواه البخاري في صحيحه[١].

صلة الرحم سبب لزيادة العمر وبسط الرزق، قال ﷺ: «**مَن أحب أن يُبسط له في رزقه ويُنسأ له في أثره فليصل رحمه**» متفق عليه[٢].

صلة الرحم تجلب صلة الله للواصل، صلة الرحم من أعظم أسباب دخول الجنة، صلة الرحم طاعة لله ﷻ وهي من محاسن الدين، فالإسلام دين الصلة ودين البر والرحمة؛ فهو يأمر بالصلة وينهى عن القطيعة مما يجعل جماعة المسلمين مترابطة متآلفة متراحمة بخلاف الأنظمة الأرضية الأخرى التي لا تراعي مثل هذه الحقوق.

أيضا من عناية الإسلام بالروابط الاجتماعية عنايته بحقوق الجار، فالجوار له حق، والجار هو مَن جاورك جوارًا شرعيا سواء كان مسلمًا أو كافرًا، برًا او فاجرًا، صديقًا أو عدوًا، محسنًا أو مسيئًا، نافعًا أو ضارًا، قريبًا أو أجنبيًا: هذا هو الجوار في الاصطلاح، والجوار له مراتب بعضُها أعلى من بعض، تزيد وتنقص بحسب قربه وقرابته ودينه وتقواه، فيعطى بحسب حاله وما يستحقه.

---

[١] أخرجه البخاري (٦١٣٨).

[٢] أخرجه البخاري (٥٩٨٦)، ومسلم (٢٥٥٧).

مفهوم الجار والجوار في الإسلام لا يقتصر على الجوار في المسكن فحسب، بل هو أعم من ذلك، الجار معتبر في المتجر وفي السوق وفي المزرعة وفي المكتب وفي مقعد الدراسة، مفهوم الجار يشمل الرفيق في السفر بل يشمل الزوجة كذلك تسمى جارةً كما جاء في تفسير قول الله ﷻ: ﴿وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ﴾ [النساء:٣٦].

ومفهوم الجار يشمل الجوار بين الدول والممالك؛ فلكل دولة على جارتها حق، حق الجوار، وهكذا.

فمفهوم الجوار مفهوم شامل في ديننا والإسلام وصَّى بالجار وأوصى به وأعلى من قدر الجار، فله في الإسلام حرمة مصونة، حقوق كثيرة، لم تعرفها قوانين الأخلاق ولا شرائع البشر، قال الله ﷻ: ﴿وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا﴾ [النساء:٣٦].

الجار ذو القربى هو الذي بينك وبينه قرابة، والجار الجُنُب هو الذي يعد في العرف جارًا وبينك وبين منزله فسحة.

وقد قال النبي ﷺ: «**ما زال جبريلُ يُوصيني بالجار حتى ظننتُ أنه سيُورِّثه**» متفق عليه[١]. أي: حتى ظننت أنه سيُبلِّغُني عنِ الله الأمرَ بتوريثِ الجار للجار؛ فالوصايا للجار تشمل كفَّ الشر عنه، إسداء الخير إليه؛ فالجار في الإسلام له

[١] أخرجه البخاري (٦٠١٥)، ومسلم (٢٦٢٥).

حقوق، فاعتنى الإسلام بهذه الرابطة الاجتماعية وهي من دعائم هذا النظام الاجتماعي والأسري، فالجار له حقوق: كف الأذى، قال النبي ﷺ: «**والله لا يؤمن والله لا يؤمن والله لا يؤمن!**» قيل: مَن يا رسول الله؟ قال: «**مَن لا يأمن جاره بوائقه**» رواه البخاري[١].

وفي حديث لمسلم: «**لا يدخل الجنة مَن لا يأمن جاره بوائقه**»[٢].

الجار من حقوقه: الحماية، الإحسان إلى الجار، لا يكفي الرجل في حسن الجوار أن يكف أذاه عن جاره أو أن يدفع عنه بيده يدًا ظالمة، بل يدخل في حق الجار أن يُحسِن إليه في كافة وجوه الإحسان، قال ﷺ: «**مَن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليُكرِم جاره**»[٣].

ومن الإحسان إلى الجار: تعزيتُه عند المصيبة، وتهنئته عن الفرحة، وعيادته عند المرض، وبداءتُه بالسلام، وطلاقة الوجه عند لقائه، وإرشاده إلى ما ينفعه في أمر دينه ودنياه، ومواصلته بالمستطاع من أنواع الإحسان.

ومن حقوق الجار: احتمالُ أذاه، وهذا من أرفع الأخلاق وأعلى الشِّيَم في ديننا؛ مما يدل على عناية الإسلام بهذا النظام الاجتماعي بين المسلمين.

أيضا من الروابط الاجتماعية والأخلاق التي تقوي الاجتماع بين أفراد المجتمع:

عناية الإسلام بكرامة الإنسان، قرر الإسلام كرامة الإنسان بما لا يقرره أي

---

[١] أخرجه البخاري معلقًا بصيغة الجزم بعد حديث (٦٠١٦).

[٢] أخرجه ومسلم (٤٦).

[٣] أخرجه مطولًا البخاري (٦٠١٨)، ومسلم (٤٧).

نظام في الدنيا، والأدلة كثيرة في الكتاب وفي السنة التي تدل على ذلك، ومن ذلك قول الله ﷻ: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾[الإسراء:٧٠].

فالإنسان له كرامة في ديننا، ومن كرم الله ﷻ وإحسانه أنه كرَّم بني آدم بجميع وجوه الإكرام: كرَّمهم بالعلم والعقل والتمييز والصورة، وإرسال الرسل، وإنزال الكتب، وبتسخير ما في الأرض لهم جميعا.

أيضًا مما يدل على عناية الإسلام بكرامة الإنسان: أنه أوجب العدل بين الناس، إن للعدل في دين الإسلام مكانة سامية فهو أصل من أصول النظام الاجتماعي والأسري في الإسلام، دلت الأدلة من الكتاب والسنة في بيان فضل العدل والتحذير من الظلم مما يدل على ذلك، وأن الله ﷻ أمر بالعدل أمرًا عزمًا؛ لذلك كرر ﷻ في كتابه من الآيات الآمِرَةِ بالعدل، قال الله ﷻ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ﴾[النحل:٩٠].

كذلك فإنه ﷻ قرن بالأمر بالعدل التحذير من مخالفته؛ قال ﷻ: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ ۚ ٱعْدِلُوا۟ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾[المائدة:٨]، لا يحملنكم عداوتكم لأناس أن تظلموهم وتتركوا استعمال العدل معهم.

أيضا من مظاهر العدل في الإسلام: تنوُّع الأمر بالعدل، فالأمر بالعدل يشمل العدل في القول والقضاء بين الناس، وفي فرض الواجبات والتكاليف عليهم، وفي التشريع لهم، وفي الإفتاء، وفي الشهادة بينهم الله ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ

ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَوِ ٱلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ ﴾ [النساء:١٣٥].

أيضا التحذير من التهاون بإقامة العدل، وذلك بدافع الرقة أو اللين أو القرابة، لا ريب أن العدالةَ خُلُقٌ يبعث المتخلِّق به على إقامة العدل في نفسه وفي الناس ما استطاع إلى ذلك سبيلا، إن الشريعة بيَّنتْ وجوهَ الأحكام في الأعمال قصدًا لإيصال الحقوق لأصحابها، إن إقامة التشريع الإسلامي عند القضاة أيضا من مظاهر العدل في ديننا من أجلِ تمييز الحق وتعيين صاحبه في الحوادث بين الناس والمخاصمات.

اشترط الإسلام في القاضي شروطا وصفات تجعل مَن تحققت فيه مأمونًا على هذه الأمانة العظمى، إن الأمر بالعدل شامل لجميع أفراد الأمة ليس مقتصرًا على الحاكم الأعلى في سياسته لرعيته، والقاضي في أحكامه، وإنما هو شامل لجميع أفراد الأمة بما فيهم الوالد في بيته وبين أولاده، والزوجة في بيت زوجها، والخادم في بيت سيده، لزوم العدل مأمور به مع القريب والبعيد والقوي والضعيف والموافق والمخالف، كما أن الأمر بالعدل شامل لحال السِّلم والحرب والبيع والشراء وسائر الأحوال، كذلك أوجب العدل في جميع الأمور وهذا من مظاهر عناية الإسلام بكرامة الإنسان؛ فالتكريم في الإسلام له معيار هو التقوى قال الله ﷻ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ [الحجرات:١٣].

فمعيار التفاضل والتكريم في الإسلام هو التقوى، الإسلام جعل التمايز والتفاضل بين الناس بالتقوى دون إهمال لسائر الميزات، دون تحيز للونٍ أو جنس أو عرق فهو ينظر للناس على أنهم سواسية في الكفاءة، ثم إن الناس في الإسلام يتساوون في إقامة الحق عليهم واستيفائِه منهم، ودلت الأدلة من الكتاب والسنة على هذا الأمر.

أيضا من عناية الإسلام بالروابط الاجتماعية والأخلاق التي تقوي الاجتماع بين أفراد المجتمع من خلال هذا النظام الاجتماعي والأسري في الإسلام، عناية الإسلام بعلاقة المسلمين مع بعضهم وأيضًا بعلاقتهم مع غيرهم؛ فمكارم الأخلاق التي جاء بها هذا النظام لها دور عظيم في انتظام أمر الاجتماع، إذا بلغت الأمة إلى غاية مكارم الأخلاق وغلبت تلك الحال على جمهورها زَكَت نفوسها وأَثمرت فحينئذ يسود الأمن وتسود الألفة، وتنصرف العقول إلى الأعمال النافعة، وتكون العاقبة لهذا المجتمع رشدًا وفلاحًا وتعقلًا ورفاهيةً وإنصافًا.

علم الأخلاق الذي اعتنى الإسلام بإعلائه كفيل بتهذيب الأخلاق، وبإيقاف الناس على حدودها وبحملهم على امتثالها، ذلك أن التربية الإسلامية لها أثر كبير في صلاح هذا المجتمع، التربية على دين الإسلام وأخلاقه وآدابه فيها تهذيب للأخلاق، تهذيب الأخلاق أصل عظيم من أصول النظام الاجتماعي في الإسلام لأنه من أعظم ما يهيئ أفراد الأمة لتكوين جماعة صالحة لهم، مكارم الأخلاق كانت صفة لرسول الله ﷺ قال الله ﷻ مخاطبًا نبيه: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ [القلم:٤]، ولما سألت عائشة عن خلقه ﷺ قالت: «**كان خلقه**

القرآن»[١]، ولذلك قال ﷺ: «إنما بعثت لأتمم صالح الأخلاق»، الحديث رواه أحمد وهو في صحيح الجامع الصغير[٢].

أعظم ما بنى عليه الإسلام دعوته إلى مكارم الأخلاق وتهذيبها هو العناية بتربية النفس وكمالها، تدريبها على متابعة الهدى والإرشاد الذي يشهد العقل السليم بحقيقته وصلاحه ونفعه، الإسلام يتميز عما سواه من الشرائع وغيرها بأنه أقام مبانيه على أساس جميع الفضائل الحقة، وحث على بث تلك المباني بين جميع الأمم، الإسلام جعل الإنصاف حقا على الولاة والهداة والرعايا كلٌّ فيما يخصه من الأفعال المتعلقة بالإسلام أو بمعاشرة المسلمين أو غيره من الأمم، أو حتى بالتصرف مع الحيوان، ولو نظرنا إلى أوامر الإسلام ونواهيه لوجدنا ذلك، ومحاسن الإسلام تتجلى بوضوح من خلال النظر إلى أوامره ونواهيه؛ فالإسلام يأمر بأوامر عظيمة تنتظم بها الأمور وتصلح بها حالة الناس، هذه الأوامر حث عليها الإسلام بأبلغ العبارات، من هذه الأوامر التي تدل على عناية الإسلام بعلاقة المسلم مع المسلم، وعلاقة المسلم مع غيره، الإسلام يأمرك بأن تكون به كبير النفس عن التشبه بما دونك من أنواع الحيوانات، رفيع القدر، الإسلام يأمرك بالتوحيد الخالص والعقيدة الصحيحة التي لا يقبل العقل غيرها، لا تطمئن القلوب إلا بها؛ فالعقيدة التي أمرك الإسلام بها تجعلك عظيمًا كبيرًا تشعر بالعزة في قلبك، تذيقك حلاوة الإيمان، الإسلام يأمرك بستر عورات المسلمين، الإسلام يأمرك بالسعي في قضاء حاجات الناس وتنفيس كرباتهم،

[١] أخرجه البخاري في «الأدب المفرد» (٣٠٨)، وأحمد (٢٥٨١٣).
[٢] أخرجه أحمد (٨٩٥٢).

الإسلام يأمرك بالبدء بالسلام على كل مسلم، يأمرك أن تنصر أخاك المسلم في غيبته، أن ترده عن الظلم إذا ظَلَم، الإسلام يأمرك بعيادة المرضى وتشييع الجنائز وزيارة القبور والدعاء لإخوانك المسلمين، الإسلام يأمرك بإنصاف الناس من نفسك، أن تحب لأخيك ما تحبه لنفسك، الإسلام يأمرك بالرحمة بالخلق والعطف عليهم وحسن رعايتهم ومداراتهم، والسعي في نفعهم وجلب الخيرات لهم، ودفع المضرات عنهم، الإسلام يأمرك ببر الوالدين وصلة الأرحام وإكرام الجار والرفق بالحيوان، الإسلام يأمرك بالوفاء للأصحاب، حسن المعاملة للزوجة والأبناء، الإسلام يأمرك بالحياء والحلم والسخاء والكرم والغيرة على الحق، يأمرك بالمروءة وحسن السمت يأمرك بالأمانة والعدل وإنجاز الوعد وحسن الظن، يأمرك بالعفة والاستقامة، يأمرك بشكر الله ﷻ ومحبته وخوفه إلى غير ذلك من المعاني الجميلة مما يدل على أن أوامر الإسلام أمر مهم دل عليه دينُنا وهو من خصائص هذا النظام الاجتماعي والأسري في الإسلام.

أيضًا من أعظم محاسن الإسلام وما جاء به من النواهي التي تحذر المسلم من الوقوع في الشر تنذره سوء العاقبة، نهى عن الكفر والفسوق والعصيان، نهى عن اتباع الهوى، نهى الإسلام عن الكبر والحقد والعجب والحسد، نهى سوء الظن والبخل والإسراف والتبذير، نهى عن الكسل والضعف وقلة الحياء والغضب والتسخُّط على ما فات، نهى عن الغيبة، نهى عن النميمة، نهى عن كثرة الكلام بلا فائدة، نهى عن إفشاء السر، نهى عن السخرية بالناس والاستهزاء بالآخرين، نهى عن السب واللعن والشتم، نهى عن كثرة الجدال والخصومة، نهى عن الاستطالة في الأعراض، نهى عن الظلم والغش والخيانة والمكر والفتنة، نهى عن السفاهة

والفحش، نهى عن تشبه الرجال بالنساء وعن تشبه النساء وعن إفشاء سر الزوج، نهى عن التجسس والتحَسُّس وتتبع عورات الناس، نهى عن عقوق الوالدين وعن قطيعة الرحم وعن إهمال تربية الأولاد، نهى عن أذية الجار نهى عن شرب الخمر وتعاطي المخدرات، نهى عن المقامرة، نهى عن السرقة والغصب، نهى عن التهاجر والتشاحن.

نواهي الإسلام من أعظم محاسن الإسلام، هذه نبذة موجزة عن بعض أوامر الإسلام ونواهيه التي تدل على أن هذا الدين العظيم اعتنى بالأخلاق، اعتنى بترسيخ الاخلاق الحسنة والنهي عن الأخلاق السيئة وبيّن دورها في بناء المجتمع من خلال هذا النظام الاجتماعي والأسري في الإسلام.

أيضا اعتنى بالفضائل وأصول الأخلاق، جعل لها المكانة العالية فأمر بالصبر وبين فضله وأمر بالعفة، قال ابن حزم رحمه الله: «حدُّ العفة أن تغضَّ بصرك وجوارحك عن الأجسام التي لا تحل لك فما عدا ذلك فهو عُهر، وما نقص حتى يمسك عما أحل الله تعالى فهو ضعف وعجز»[١].

أيضا من هذه الأخلاق: عزة النفس من الأخلاق العالية وتعني الارتفاع عن مواضع الإهانة وتلقي على صاحبها مهابة ووقارًا في العيون واعتنى بالسخاء والكرم، اعتنى بالشجاعة وبالوفاء وهكذا.

اعتنى الإسلام بالصداقة وبيَّن حقوق الصحبة مما يدل على عنايته بعلاقة المسلمين مع بعضهم؛ فالإسلام بشمول تشريعاته الحكيمة لم يغفل جانب

[١] رسائل ابن حزم الأندلسي (١/ ٣٥٣)، ت: إحسان عباس، ط. المؤسسة العربية للدراسات والنشر.

الصداقة والصحبة بل عني بالصداقة الحقة، رغب فيها ووضع لها الأسس العامة التي تكفل استمرارها، من ذلك أن الإسلام رغب في أن يحب المسلم لأخيه ما يحب لنفسه، الإسلام استحب للمسلم أن يؤثر أخاه المسلم، الإسلام رغَّبَ في مصاحبة الجليس الصالح وصداقته.

كذلك اعتنى الإسلام بعلاقة المسلم بغير المسلم، تقوم هذه العلاقة في أصلها على الإحسان والبر والصلة والعدل وحب الخير والهداية لهم قال الله ﷻ: ﴿لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ﴾ [الممتحنة:٨].

قال ابن سعدي ﵀ في تفسير هذه الآية من سورة الممتحنة: «أي: لا ينهاكم الله عن البر والصلة والمكافأة بالمعروف والقسط للمشركين من أقاربكم وغيرهم حيث كانوا بحال لم ينتصبوا لقتالكم في الدين ولإخراجكم من دياركم، فليس عليكم جناح أن تَصِلوهم، فإن صِلَتهم في هذه الحالة لا محذور فيها ولا مفسدة»[١]. انتهى.

وطبَّقَ ذلك صحابة النبي ﷺ كما جاء عنهم، وهكذا بيّن رسول الله ﷺ لنا كيف نتعامل مع غير المسلم؛ فتعامل النبي ﷺ مع طائفة المنافقين الذين يظهرون الإسلام ويبطنون الكفر بما يشبه معاملة المهتدين من الرحمة والرفق ومقابلة الإساءة بالعفو أو الإحسان، كان يعاملهم على ظواهرهم دون بحث عما تُكِنُّه سرائرهم، وهكذا ﷺ أيضا تعامل مع المخالفين المسالمين من

[١] رسائل ابن حزم الأندلسي (١/ ٣٥٣)، ت: إحسان عباس، ط. المؤسسة العربية للدراسات والنشر.

هؤلاء، حرص ﷺ على هدايتهم كان يلقاهم بالأدب الجميل ويقسط إليهم، لا يهضم لواحد منهم حقا، يأخذ فيهم بأدب قول الله ﷻ: ﴿لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ﴾ [الممتحنة:٨].

والأمثلة على ذلك كثيرة في سيرته ﷺ، منها ما في صحيح البخاري عن أنس قال: كان غلام يهودي يخدم النبي ﷺ فمرض فأتاه النبي ﷺ يعوده فقعد عند رأسه فقال له: «**أسلِمْ**» فنظَر إلى أبيه وهو عنده؛ فقال له: أطِعْ أبا القاسم؛ فأسلَم فخرجَ النبي ﷺ وهو يقول: «**الحمد لله الذي أنقذَه من النار**». وهذا الحديث في صحيح البخاري (١٣٥٦)، والأمثلة كثير.

بل نهى ﷺ عن ظلم المعاهد من غير المسلمين فقال ﷺ: «**مَن ظلم معاهدا أو كلَّفه فوق طاقته فأنا خصمه يوم القيامة**»[١]، والحديث رواه أبو داود في سننه برقم (٣٠٥٢) بلفظ: «**ألا مَن ظلم معاهدا أو انتقصه أو كلَّفه فوق طاقته أو أخذ منه شيئا بغير طيب نفس فأنا حجيجُه يوم القيامة**»، والحديث في صحيح سنن أبي داود.

وهكذا أدرك فقهاء الإسلام رعاية الإسلام لأهل الذمة وحرصه على احترام حقوقهم، وذكروا أحكاما فقهية في كتب الفقه تتعلق بأهل الذمة.

إذًا؛ اهتم الإسلام بعلاقة المسلمين مع بعضهم ومع غيرهم، وأيضا من خلال هذا النظام الاجتماعي والأسري في الإسلام اعتنى الإسلام بالمرأة والطفل

[١] تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (ص: ٨٥٦)، ط. مؤسسة الرسالة.

والوالدين كما اعتنى أيضا بالزواج، فالإسلام كرم المرأة ورفع من مكانتها وأكرمها بما لم يكرمها به دين سواه، فالنساء في الإسلام شقائق الرجال، خير الناس خيرهم لأهله، فالمسلمة في طفولتها لها حق الرضاع والرعاية وإحسان التربية، وإذا كبرت فهي المعزَّزَة المكرَّمة التي يغار عليها وليُّها ويحيطها برعايته، إذا تزوجت كان ذلك بكلمة الله وميثاقه الغليظ فتكون في بيت الزوج بأعزِّ جوار، وواجبٌ على الزوج إكرامها والإحسان اليها وكف الأذى عنها، إذا كانت أمًا كان برُّها مقرونًا بحق الله تعالى، وعقوقها والإساءة إليها مقرون بالشرك بالله والفساد في الأرض، إذا كانت أختًا فهي التي أُمِر المسلم بصلتها وإكرامها والغيرة عليها، وهكذا إذا كانت كبيرة في السن زادت قيمتُها لدى أولادها وأحفادها وجميع أقاربها وهكذا، من إكرام الإسلام للمرأة أنه أمر بما يصونُها ويحفظ كرامتها ويحميها من الألسنة البذيئة والأعين الغادرة؛ فأمَرَها بالحجاب والستر والبعد عن التبرج وعن الاختلاط بالرجال الأجانب، وعن كل ما يؤدي لفتنتها، ومن عناية الإسلام بها أنه أمر الزوج بالإنفاق عليها وإحسان معاشرتها، والحذر من ظلمها والإساءة إليها؛ مما يدل على شأن المرأة ومكانتها في هذا الدين العظيم.

كذلك أيضا من عناية الإسلام بالزواج شُرِع الزواج في الإسلام وأُمِر به، ومن أجل ذلك جاء الإسلام بمراعاة رابطة الزوجية وتقويمها وتمكينها وإحاطتها ما يحفظ وجودها، والأدلة على ذلك كثيرة، فأمر الإسلام بالزواج وبين فضل الزواج وحصول الأجر والثواب وحصول العفاف من هذا الزواج، وبقاء النسل وحصول السكن والمودة والرحمة بين الزوجين، وحصول القرابة بين الناس، سلامةً المجتمع من الانحلال الخلقي والأمراض الفتاكة بتسريع الزواج

وبإيجاب الزواج في الإسلام وهكذا منافع الزواج لا تعد ولا تُحصى؛ فعناية الإسلام بالزواج لها أثر عظيم في حفظ هذا النظام الاجتماعي والأسري.

وهكذا أيضًا جاء اعتناءُ الإسلام بالطفل وجاء التحذير الشديد من بعض العادات الجاهلية التي كانت قبل الإسلام من قتل الأطفال خشية الفقر، وهكذا أيضا جاءت الشريعة باستحباب طلب الولد، والنهي عن التسخط بالبنات، والشرع أوجب على الأم إرضاع طفلها، رتَّب الإسلام الثواب الجزيل على حسن تربية الأطفال حتى يكبروا، القيام على الأولاد أمانة، الإسلام أولى اليتيم عناية بالغة، الإسلام حرم قتل الأطفال في الحرب، الإسلام حرم ظلم الأطفال داخل كيان الأسرة، فالجملة أن أحكام الأطفال في الشريعة الإسلامية كثيرة جدا.

هي شاملة للطفل قبل ولادته إلى أن يكبر ويصبح مكلفا، شرعَ الأحكامَ الشرعية التي تخص البالغين والمكلَّفِين، فللأطفال حقوق كثيرة كتسميتهم بالأسماء المناسبة، وتعليمهم ما يحتاجون له من أمور دينهم ودنياهم، تَجنِيبِهم ما يضرهم، إلى غير ذلك من الأحكام الحقوق، وهكذا اعتنى الإسلام بمفهوم بر الوالدين وبيَّن حق الوالدين بأنه من الواجبات، وبيَّن فضلَ بر الوالدين، وأنه سبب لدخول الجنة، بر الوالدين من محاسن الشريعة الإسلامية بخلاف غيرها من الشرائع والأنظمة، حق الوالدين في الإسلام عظيم، نهى الإسلام عن العقوق، حذر منه أشد التحذير وبين أنه كبيرة من الكبائر، بين لنا الإسلام آدابا وأخلاقا ينبغي مراعاتها مع الوالدين: الملاطفة، المشاورة، المداراة اكرام الوالدين، طاعة الوالدين في المعروف، صحبة الوالدين في المعروف، وهكذا.

حرص الإسلام على العناية بالمرأة والطفل والوالدين مما يدل على عظمة هذا النظام الاجتماعي والأسري في الإسلام، من خلال ما سبق تعرضنا بإيجاز للنظام الاجتماعي والأسري في الإسلام، وأثر هذا النظام في الاجتماع والحياة الاجتماعية، وذكرنا بعض خصائص النظام الاجتماعي والأسري في الإسلام، وأشرنا إلى عناية الإسلام بكرامة الإنسان وبمَن حوله من الأرحام والجيران والأصحاب وغير المسلمين، وتبيَّنَ لنا عظَمةَ الإسلام وسماحته ووسطيته وعدله وشموله في تنظيم علاقات الأفراد في المجتمع المسلم.

فنسأل الله ﷻ أن يعيننا وإياكم على العمل بالإسلام وعلى التخلق بأخلاق الإسلام وعلى التأدب بآدابه، وعلى التمسك بشريعته، ونسأل ﷻ أن يثبتنا وإياكم على الإسلام كما نسأله ﷻ أن يفقهنا وإياكم في ديننا، ونسأله ﷻ أن يحفظ بلادنا دولة الإمارات من كل سوء وفتنة، كما نسأله ﷻ أن يوفق ولاة أمورنا لكل خير وأن يرزقهم البطانة الصالحة.

اللهم إنا نسألك علما نافعا وقلبا خشعا ودعاءً مستجابا، ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم.

للمزيد من الكتيبات

يرجى مسح الكود أو اتباع الرابط التالي

https://www.baynoona.net/ar/all/ebooks